2

الباب الثاني

الجوانب السياسية في حركة الإمام محمود خطاب السبكي

obeikan.com

obeikan.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾

[إبراهيم]

﴿ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارٗا ﴿٢٨﴾ ﴾

[نوح]

obeikan.com

obeikan.com

حياة الشيخ الإمام في سطور

- ولد الشيخ الإمام محمود خطاب السُّبكي في قرية « سبك الأحد »[1] بمحافظة المنوفية في التاسع عشر من ذي القعدة سنة ١٢٧٤ هـ الموافق أول يوليو سنة ١٨٥٨م.

- تعلم بالأزهر وحصل على العالمية في ٢٩ رجب ١٣١٣ هـ الموافق ١٦ يناير سنة ١٨٩٦م

- تزوج وأنجب عددًا من الأبناء هم:

- محمد

- أمين

- وخمسة من البنات.

- أسس الشيخ الإمام الجمعية الشرعية في غرة المحرم سنة ١٣٣١ هـ

- انتقل الإمام إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٥٢ هـ

- خلفه في رياسة الجمعية ابنه صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أمين محمود خطاب، المدرس بكلية الشريعة – جامعة الأزهر.

- وبعد وفاة الشيخ أمين خلفه نجله الشيخ يوسف أمين خطاب، حتى انتقل إلى جوار ربه في ٣٠ من صفر سنة ١٣٩٦ هـ.

- وتم اختيار الشيخ عبد اللطيف مشتهرى إبراهيم رئيسًا للجمعية الشرعية وذلك عن طريق هيئة علماء الجمعية. وما زال الشيخ عبد اللطيف إمامًا شرعيًا للجمعية الشرعية منذ ١٣٩٦ – ١٩٧٦ وحتى الآن، حيث يعمل بهمة ونشاط لخدمة الإسلام والمسلمين.

(١) في خرائط المساحة اسمها سبك الأحد وحصتها وكفر العويضات وكفر الزارقة، وهي قرية تابعة لمحافظة المنوفية.

مقدمة

يمكننا أن نقول إن هناك نظامًا سياسيًا في الإسلام. فهذا من الأمور المعلومة من الإسلام بالضرورة. ولكننا لا يمكننا أن نقول إن هناك جوانب سياسية في الإسلام، أو بمعنى آخر جوانب دنيوية وأخرى أخروية. لأن الدين والدنيا في الإسلام شيء واحد. فكل حركة المسلم تدخل في الجانب الشرعي سواء كانت علاقات دنيوية أو أمورًا تعبدية. أي أن الإسلام ليس له جانب سياسي وآخر تعبدي. بل إن السياسة تدخل في كل صغيرة وكبيرة من حياة المسلم دنيا وآخره.

وإذا قلنا إن الشرائع السياسية والاجتماعية والاقتصادية تشكل سياقًا سياسيًا في الإسلام. فإن لها جانبًا تعبديًا أيضًا، فتلك الشرائع أولاً تنظم العلاقة بين العباد وهي في ذات الوقت تمثل عبادة، لأن تطبيق النظم الإسلامية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية امتثالاً لأمر الله تعالى وبديهي أنها تحقق مصالح البشر ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك]. إذن فتطبيق النظم الإسلامية يعد شكلاً من أشكال طاعة الله وبالتالي عبادة له سبحانه وتعالى.

وبالمثل فإن الجوانب التعبدية ذات بعد سياسي أيضًا فمن يقول لا إله إلا الله يعني في الوقت نفسه أنه لا حاكم ولا مشرع ولا مهيمن إلا الله تعالى. يعني في الوقت نفسه أن الله هو الأقوى، وبالتالي فمن الحرام أن يخاف ممن دونه. وهذه دعوة مباشرة للثورة ضد أي شكل من أشكال الظلم. ولا إله إلا الله تعنى أن الله هو الرازق.. فلا محل للخوف على الرزق.. أو السكوت على ظالم بدعوى المحافظة على لقمة العيش وتعني أيضًا أن على الإنسان أن يبحث عن رزقه بطريق حلال فلا يسرق ولا يرتشي. أليس هذا سياسة.....؟

والصلاة التي جعلها الإسلام فريضة على المسلمين. فهي أولاً اجتماع سياسي وخاصة في صلاة الجمعة.. وثانيًا هي تعني أن الإنسان لا يركع ولا

يسجد لغير الله. أليس ذلك مدعاة للعزة في مواجهة الظالمين...؟

والزكاة أليست شكلاً من أشكال العلاقة الاقتصادية والتضامن الاجتماعي ومسئولية المسلم على المسلم...؟

وصوم رمضان – أليس الصوم تدريبًا على رفض الإغراءات، وبالتالي فهو تدريب على بناء شخصية قادرة على رفض الرشوة والسرقة والمتاع الحرام...؟

والحج ـ أليس اجتماعًا سنويًا سياسيًا للمسلمين ـ لتبادل الرأي والمشورة ومعرفة حال بعضهم بعضًا...؟

إذن فالسياسة تدخل في العبادات، والعبادات تدخل في السياسة ـ ولا سبيل للتفريق بينهما فالتداخل شديد ـ وهذا هو الإسلام نسيج متكامل.

إذن فالحديث عن الجوانب السياسية في حركة الإمام خطاب السُبكي يدخل فيه كل حركة وسكنة من حياة الشيخ، فالعبادة تؤثر في السلوك السياسي للإنسان. والسلوك السياسي للإنسان يؤثر في العبادة – فضلاً عن أنه عبادة : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾.

ولكن لدواعي البحث سنقصر بحثنا على الجوانب السياسية المباشرة في حياة الشيخ الإمام، أو تلك الجوانب ذات الصلة المباشرة بمجمل جهاد الشعب المسلم في مصر ضد تحديات عصر الإمام التي عاناها الشعب المصري في مواجهة أعدائه.

الخلفية السياسية والاجتماعية والاقتصادية:

ولد الشيخ الإمام في أول يوليو ١٨٥٨ م – وتوفي في ٧ يوليو ١٩٣٣– أي أنه عاصر عمليات الاحتلال الإنجليزي لمصر. ثم محاولة فصم مصر عن الخلافة الإسلامية العثمانية رسميًا بعد أن فصلت عمليًا – وكذلك عمليات الاستعمار ضد كل ما هو وطني، سواء بتغريب الثقافة والتعليم أو ضرب الصناعات الوطنية أو قمع الوطنيين.

وأهم من هذا وذاك محاولة فصم الإسلام عن الحياة وتشجيع الخرافات، وأشكال الوثنية المختلفة التي تبعد بالإسلام عن جوهره كدين فاعل وحيوى

وإيجابي، إلى مجرد طقوس ميتة لا حياة فيها.

وفي الوقت نفسه عاصر الشيخ حركات الجهاد الشعبي لعبد الله النديم ومصطفى كامل ومحمد فريد، ثم انتفاضة الشعب المسلم في مصر في ثورة ١٩١٩، ثم سرقة الجهاد الشعبي على يد العلمانيين متمثلاً في ظهور الأحزاب العلمانية وخاصة حزب الوفد - وشهد الشيخ أيضاً المحاولات المبكرة لاغتصاب فلسطين بتواطؤ الغرب والشرق مع اليهود الأنجاس.

طرف من الجهاد السياسي للشيخ الإمام

اعتقال الشيخ:

فرضت سلطات الاحتلال الإنجليزي رقابة على دروس الشيخ، وعلى ما يصله من رسائل، وخاصة ما يصل إليه من الخارج.

ويبدو أنهم اكتشفوا أن الشيخ الإمام تصله بعض رسائل من مسلمي الدولة العثمانية « تركيا» فأثارت شكوكهم، وخشوا أن يكون وراء ذلك قيام حركة في داخل مصر تستند إلى الجماهير تتخذ سبيلها لتقويض نفوذهم النامي في البلاد، لذا بادروا بالقبض على الشيخ الإمام في ١٩١٤، وتم تفتيش منزله بالقاهرة، ومنزل أسرته في سبك الأحد في وقت واحد.

ولبث الشيخ معتقلاً مدة دون أن يعرف أحد عنه شيئًا وكان يقدم له طعام السجن فلا يمسه ولا يقربه كلون من ألوان الإضراب عن الطعام أو الاحتجاج على اعتقاله.

ونقل الشيخ الإمام إلى سجن محافظة القاهرة بميدان أحمد ماهر « باب الخلق » وأصر الشيخ على ألا يأكل طعام الاحتلال، فسمح له بأن يأتيه الطعام من بيته. وأعلم ابنه الشيخ أمين خطاب برغبة الشيخ، فاستبشر الجميع بأنه ما زال في القاهرة وعلموا مكانه، فصار الطعام يصل إليه من منزله.

وظل كذلك حتى أتم في الاعتقال ثلاثة أشهر ثم أفرج عنه – فكانت فترة اعتقاله خلوة واتصالاً بالله رب العالمين. ومنع الشيخ الإمام من مزاولة نشاطه وحددت انتقالاته خلال فترة الحرب العالمية، أي بين ١٩١٤ – ١٩١٨، والدليل على ذلك أن محاضر اجتماعات مجلس الإدارة توقفت فيما بين سنة ١٣٣٢ هـ - ١٣٣٦ هـ، ولم يسمح أيضًا ببيان أسباب هذا التوقف في محاضر الجلسات[1].

(١) د. عبد العظيم حامد خطاب – لمحات من تاريخ الإمام الشيخ محمود محمد خطاب السبكي – دار الاعتصام ١٩٨٥.

إذن فهناك اتهام من سلطات الاحتلال للشيخ بأنه يتصل بالمسلمين من الدولة العثمانية « تركيا »، وأنه يسعى مع أتباعه لتقويض سلطة الاحتلال، وأنهم يشكون في وجود سلاح لديه أو لدى أتباعه.

ومجرد هذا الاتهام وهذا الشك يعطي الانطباع بأن الشيخ كان يسعى بوسيلة ما لاستعادة مصر إلى الخلافة الإسلامية – أو بتعبير آخر هو من دعاة الوحدة الإسلامية، وأن الطريق الأقصر إليها هو المحافظة على وحدة الخلافة العثمانية أيًا كانت عيوبها. وأن الشيخ كان مناهضًا للاحتلال الإنجليزي لدرجة أن تقوم سلطات الاحتلال باعتقاله لمدة ثلاثة أشهر.

ومن ناحية أخرى فإن الشيخ الإمام كان إيجابيًا في سجنه، واستخدم سلاح الإضراب عن الطعام كوسيلة من وسائل المقاومة داخل السجن. ولعل التفسير الذي قدمه الشيخ لإضرابه عن الطعام كان أروع من الإضراب ذاته، حيث قال إنه لا يذوق طعام الاحتلال. أي أنه هنا يقول لأتباعه: إن الاحتلال مرفوض جملة وتفصيلاً حتى في طعام السجون.....!!.

وهي دعوى لمقاومة الاحتلال بكل صوره، حتى أبسط صورة وهي سلاح المقاطعة؛ إنه يحرم على المسلمين الركون إلى الاحتلال ولو بأكل طعامه.

تأسيس الجمعية الشرعية – كتنظيم اجتماعي ذي نشاط سياسي:

في المحرم سنة ١٣٣١ هـ – ١٩١٢م أسس الإمام الجمعية الشرعية ووضع لها نظامًا أساسيًا، ولم يكن هناك نظام سابق لإنشاء الجمعيات.. ولكنه رغب أن يزلف بين جماعته وينظم شئونها على أساس ثابت، وقصد أن يكون النظام الأساسي ملزمًا للجميع بنصوصه ومواده، وأراد أن يكتسب النظام الصفة الشرعية بأن يكون نابعًا من أعضاء الجماعة، فتقر مواده ولائحته ونظامه فدعا إلى اجتماع تأسيسي في الثاني من المحرم سنة ١٣٣٢ هـ.

وتقرر فيه أن يكون للجمعية مجلس يديرها يتكون من سبعة أعضاء، وسُمى هذا المجلس « اللجنة التحضيرية » ويجتمع أسبوعيًا في مقر الجمعية.

وقد اعتبر الوعظ والإرشاد أهم أغراض الجمعية، فاقتضى ذلك أن تشرع

الجمعية في اختيار وعاظ ومرشدين يقومون ببث التعاليم الدينية بين المسلمين بعد تزويدهم بالمؤهلات الضرورية للداعي إلى الله..

وقد عهد مجلس الإدارة « اللجنة التحضيرية » إلى فضيلة الإمام المؤسس مهمة اختيار الوعاظ وتدريبهم على الطريقة المثلى في تأدية مهمتهم السامية، واحترامًا لجماعية العمل وأخذا بمبدأ الشورى تقرر أن يؤخذ على هؤلاء الدعاة التعهدات بالتزام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة[1].

كما تقرر أن تكون جلسات مجلس الإدارة أسبوعيًا، وتحدد الموعد بأن يكون ليلة الخميس من كل أسبوع، وتمسكت الجمعية بالتاريخ الهجري والتوقيت العربي، فكان الاجتماع في الساعة الثانية من غروب الشمس أدى بعد العشاء على ألا يزيد الاجتماع عن ساعتين إلا إذا دعت ضرورة لذلك.

ولما كان الاجتماع قد تحدد بيوم معين فقد رأى المجتمعون أن يكون حضورهم للاجتماعات بغير دعوة خاصة.. ومن يتخلف عن الحضور فعليه إخطار المجلس قبل انعقاده، ولا يجوز أن يجتمع المجلس أكثر من مرة في الأسبوع. وكانت محاضر المجلس تدون في سجل خاص ويكتفى بتوقيع أمين السر « أو كاتب الجلسة » أولاً.. ثم رأى المجتمعون أن يوقعوا على المحضر علامة على تصديقهم على قراراته عندما يتلى عليهم في الاجتماع الثاني.. ليتأكد الأعضاء مما تقرر فعلاً أنه مدون. ويبحثون عن وسائل تنفيذه وليطلع من كان غائبًا عن الاجتماع السابق على ما تقرر في غيبته.

وفي مطلع العام الهجري الثاني ١٣٣٢هـ تم انتخاب فضيلة الشيخ الإمام محمود محمد خطاب السُبكي رئيسًا بالإجماع وقبل حضرته الرياسة، وتقرر في هذا الاجتماع إقرار المبادئ التالية:

١- ألا يتخلف أحد من أعضاء مجلس الإدارة عن حضور الجلسات التي كانت تعقد أسبوعيًا.

٢- أن يعمل الجميع على النهوض بالجمعية وبذل كل غال ونفيس في تأييد

(١) انظر نص منشور الوعاظ في كتاب الدين الخالص - ج١ ص ١٥-١٧.

مبادئها.

٣- تضامن أعضاء مجلس الإدارة في كل شئون الجمعية وما يصدرونه من قرارات.

٤- أن تكون الصراحة التامة والدقة في البحث والمناقشة مع الأدب هدفًا أساسيا أثناء المناقشات.

٥- أن يكون مقر الجمعية في منزل فضيلة الرئيس بحي الأربعين بالكحكيين بمصر.

٦- طبع قانون الجمعية والتقدم به إلى الجهات المسئولة مع طلب تسجيل الجمعية.

٧- رفض المقترحات الشفوية، إذ لابد للعضو أن يتقدم باقتراحات مكتوبة [١].

إذن فنحن أمام تنظيم اجتماعي دقيق – نشأ على يد مجموعة من العلماء والجماهير بهدف إحياء سنن الإسلام ومبادئه – أي أنها لم تنشأ من النخبة الحاكمة، وإذا أدركنا أن الاستعمار كان يستهدف إذابة الشعور الإسلامي ليسهل عليه حكم مصر ويقطع صلتها بالعالم الإسلامي تمامًا – فإن مجرد قيام جمعية بهذا الطابع من قلب الجماهير هو في حد ذاته شكلاً من أشكال المقاومة للمستعمر.

ليس هذا فحسب- بل إنها جمعية ذات لائحة وقانون مطبوع ولها مجلس إدارة – أي أنها أصبحت هيئة لها اعتبارها.

وفي مثل هذه الظروف فليس من العجيب أن تعتبرها السلطة الاستعمارية خطرًا عليها، وأن تعتقل الإمام الشيخ خطاب السُبكي أو تعطل اجتماعات الجمعية من الفترة ١٩١٤ – ١٩١٨، وأن تراقب بريد الشيخ وأن تتهمه بالعمل على إعداد مصر إلى الخلافة العثمانية، وأن تشك في إعداده لثورة مسلحة لمقاومة الاحتلال، وأن تفتش عن السلاح في بيته في القاهرة وفي سبك الأحد.

وإذا كان قيام عمل منظم « جمعية » هو في حد ذاته مقاومة للاحتلال –

---

(١) د. عبد العظيم حامد خطاب - مرجع سابق

وشكلاً من أشكال التدريب على العمل المنظم وتعبئة طاقة الأعضاء والمتعاطفين في اتجاه معين.

وإذا كانت الدعوة إلى الإسلام - والأخلاق الإسلامية في حد ذاته - شكلاً من أشكال مقاومة الاستعمار باعتبار الاستعمار حالة حضارية في المقام الأول وباعتبار أن الخلق الإسلامي القويم ومحاربة البدع والخرافات والارتقاء بسلوك وعقل المسلم يجعل منه طاقة إيجابية في مواجهة الاستعمار، وباعتبار أن الاستعمار حريص على إذابة الشعور المتميز للمستعمرين - فإن قيام الجمعية بهذا الشكل يعد عملاً متقدمًا من أعمال المقاومة للاستعمار.

إننا هنا سنحاول أن نتتبع بعض أعمال الجمعية التفصيلية لننظر أثرها في الحياة السياسية التي عاصرها الشيخ.

إنشاء المساجد والمدارس:

يقول د. عبد العظيم حامد السُبكي -- في المرجع المشار إليه سابقًا ص ١٤٤:

«ومن الاتجاهات العلمية التي حققتها الجمعية بناء المساجد وتطهيرها ونظافتها وإعدادها للمصلين في كل وقت، وتنقيتها مما شاب غيرها من البدع، وجعلها مدارس للفقه والتعليم»، وألحق بها مدارس لتحفيظ القرآن الكريم.. ومدارس لتربية الناشئة، الأمر الذي دفع إلى أن تكون معاهد دينية أزهرية تعد الأجيال للمحافظة على دينهم وللكبار لتلقي دروس في التجويد والتعليم.

وقد ألحقت بأغلب المساجد مؤسسات منها:

١- دور للتدريب المهني للفتيات، وتعليمهن الحياكة بالتفصيل والتطريز، وذلك حتى يستطعن أن يتكسبن بدلاً من الاعتماد على المساعدات التي تقدمها الجمعية للأسر الفقيرة، مع تقديم المعلومات الدينية لهن عن طريق الدروس الدينية.

٢- مستشفيات ومستوصفات لعلاج مرضى المسلمين بأجور رمزية مع تيسير أسباب الفحص الطبي وإجراء العمليات الجراحية.

٣- فصول لتقوية تلاميذ المدارس لإعدادهم لدخول الامتحانات بالمجان

تشجيعًا لهم على ارتياد المسجد وتعلم أحكام الدين.

٤- إنشاء المعاهد الدينية وتربية الناشئة تربية دينية، وترتب على ذلك نمو الوعي الديني واستمساك كثير من الرجال بأهداف الدين والتحلي بحلية الشرع الشريف... مع النفقة في الدين وإرشاد الكافة إلى ما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

٥- إنشاء معاهد لتخريج الدعاة والمرشدين وفق دراسة منظمة يقودها معهد الإقامة للدراسات الإسلامية الذي يديرهن مجلس إدارة على مستوى عال وفق لائحة معتمدة، والدراسة فيه لمدة عامين يدرس الطالب فيه الفقه والحديث والتفسير والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي واللغة العربية والتربية الإسلامية والطب النبوي والهدى الإسلامي ومسائل السنة والبدعة والدعوة والدعاة والخطابة، وغيرها من ثقافة طلابه ويجعلهم أهلا للتصدي للوعظ والإرشاد في مساجد الجمعية.

٦- وقامت بعض الفروع بإنشاء دور للإسكان الإسلامي والإشراف الديني والتربوي على سلوك الطلاب وتنظيم دراساتهم ومراقبة سلوكهم مع اتصال تلك الدور بالمسجد حتى يؤدي الطلاب الصلاة مع الجماعة.

وهكذا استطاعت الجمعية أن تجعل المسجد محور الحياة - وهو الشكل الذي رسمه الإسلام للمسجد، ليجعل منه محور العمل الجماعي الإسلامي- وتعد هذه الإضافة وإحياء دور المسجد من الخطورة بمكان في المحافظة على حيوية الأمة وتميزها، وتحصينها ضد الذوبان الحضاري، خصوصًا أن ذلك تم في مرحلة هبوط حاد في منحنى الحضارة الإسلامية.

على أن الإضافة الأخرى التي أدتها الجمعية الشرعية – وهي تدريب الفتيات – تعليم الطلاب – محو أمية – مساعدة الأسر الفقيرة – تقديم العلاج بأجور رمزية – إنشاء المعاهد الدينية – إقامة مساكن – إعالة الطلاب.

كل هذا من خلال المسجد – أي أنها أقامت مؤسسات اجتماعية تحقق للمجتمع حياة مستقلة عن تلك الحياة المرتبطة بنظام الحكم السياسي المرتبط بالسلطة الاستعمارية. أي إقامة مقاطعة اجتماعية شاملة لسلطات الاحتلال.

وتعد هذه المؤسسات الاجتماعية مؤسسات بديلة للمؤسسات المرتبطة بنظام الحكم، وهي وسيلة هامة في قطع صلة المجتمع المحلي بالمؤسسات الاستعمارية من ناحية – وتقوية الترابط بين عناصر المجتمع من ناحية أخرى. وربط كل هذا الترابط بين عناصر المجتمع من ناحية أخرى. وربط كل هذا بالإسلام – عقيدة الأمة ودرعها الواقي ضد الاستعمار.

على أن لتلك المؤسسات دورًا مباشرًا في مقاومة الاستعمار. فالاستعمار أراد أن يزرع في التربة المصرية أفكاره وسلوكه ونمط تفكيره، واستخدم في ذلك أكثر من وسيلة منها الأحزاب السياسية العميلة. ومنها المؤسسات الاجتماعية المرتبطة به، وخاصة مؤسسات التبشير التي كانت – وما زالت – تمارس نشاطها من خلال المدارس – العلاج الطبي – المساعدات الاجتماعية – وغيرها من الوسائل.

ولعل حاجة بعض الناس إلى العلاج أو المساعدات كانت تدفعهم للجوء إلى تلك المؤسسات التبشيرية – وبالتالي فإن قيام الجمعية الشرعية بإنشاء مثل هذه المؤسسات يعد طريقًا رائعًا لمقاومة نشاط هذه الجمعيات.

أضف إلى ذلك أن قيام الجمعية بنشر الوعي الديني – ومحو الأمية – وتقوية الطلاب علميًا- بالإضافة إلى إنشاء معاهد للوعظ والإرشاد يؤدي إلى زيادة الرقي العلمي والديني للمجتمع المصري – وهي إحدى الوسائل الهامة في مقاومة الاحتلال حيث يحرص الاحتلال دائمًا على ضرب العلم والتعليم في الدول المستعمرة.

ضرورة تحكيم كتاب الله ورفض الاحتكام إلى القانون الوضعي. إعداد القوة المادية والمعنوية:

دعا الشيخ الإمام محمود خطاب السُبكي إلى ضرورة الاحتكام إلى كتاب الله تعالى ونبذ القانون الوضعي – وهذا يعني فضلاً عن أنه طاعة لله تعالى – رفض القوانين الاستعمارية والتمسك بالشريعة الإسلامية وبالتالي رفض الاستعمار، لأن الاستعمار يحرص على زرع قوانينه وأنماط سلوكه ليسلب المجتمع تميزه

وهويته، ويجعله نسخة مشوهة من حضارته.

جاء في كتاب « الدين الخالص » جـ ٥ ص ٢١٧ – ٢١٨ على لسان الشيخ الإمام « محمود خطاب السُبكي » في هذا الصدد:

« إن المسلمين الآن تحت سيطرة غيرهم، لأنهم لم يقيموا الدين كما أمروا فلم يتخلوا عن النواهي ولم يتحلوا بالأوامر – بل أفرطوا في تقليد الأجنبي في الضار دون النافع – قلدوه في أكل الربا وشرب الخمر وإباحة الزنا والتبرج وخروج النساء واستخدامهن في البحار – قلدوهم في الحكم بالقانون الوضعي ونبذ القانون السماوي ولم يرتدعوا بقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وتركوا ما أمرهم به مولاهم بقوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ فخذلهم الله وسلط عليهم من لا يرحمهم، لأنهم تركوا الدين وراء الظهر.. فتركوا إلى الذل والهوان.. وذلك لأن الانتصار على الأجنبي خاص بمن نصر دين الله وتمسك به وسلك طريق النبي ﷺ.

وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ فنصر الدين من الإيمان... ومن نصره نصره في الدنيا والآخرة.. ومن لم ينصره فقد باء بالخزي والذل والهوان في الدارين، والشيخ الإمام هنا يحدد بوضوح أن المسلمين وقعوا فريسة للاستعمار نتيجة تخليهم عن الإسلام، وشيوع أمراض الفرقة، ومحاكاة الأجنبي بينهم. والشيخ هنا يدعو إلى عدم تقليد الأجنبي كخطوة أولى في طريق المقاومة.

ليس هذا فحسب، بل إن الشيخ يدعو إلى عدم الاحتكام إلى القانون الوضعي، ويستدل بالآية الكريمة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ وهذه الخطوة الثانية في مقاومة الاحتلال.

ولم يكتف الشيخ بهذا، بل هو يدعو دعوى صريحة إلى إعداد القوة واستخدامها ضد الاحتلال مستدلا بالآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾. وربط بين الإعداد المادي

بالسلاح وبين التمسك بالسلوك الإسلامي كنوع من التعبئة المعنوية والإعداد المعنوي للإنسان.

ولأن الشيخ كان رجلاً عمليًا يشفع قوله بالعمل – فقد قام بعمل مؤسسة بديلة للقضاء الوضعي، وهو عمل يتسم بقدر كبير من الإيجابية والذكاء – فقد نص قانون الجمعية الأول على أن يعاون مجلس الإدارة لجنتان:

إحداهما: لجنة المحكمين، وتكونت من سبعة أعضاء في بدء الأمر، ولكن رأى مجلس الإدارة زيادة عدد أعضاء هذه اللجنة إلى أحد عشر عضوًا، بحيث لا يصح انعقادها إلا بحضور سبعة أعضاء، ويختار لكل جلسة رئيس للاجتماع، وتقوم هذه بالتحكيم في المنازعات التي تقع بين الأعضاء وغيرهم، حتى لا يلجأ المسلمون إلى تحكيم القانون الوضعي في المحاكم، وحتى تبقى الألفة بين المسلمين وتكون قراراتها نهائية ما لم يظهر خطؤها جليًا [1].

المقاومة عن طريق الزّيّ والسلوك:

يحرص الاستعمار في محاولة لقتل إيجابية المجتمع المستعمر وإفقاده تميزه في الهوية و الانتماء على نشر وسائل الفساد والإفساد. وتحويل أفراد المجتمع إلى مقلدين له في زيه وسلوكه. ولعل دعوة الشيخ إلى التمسك بالسلوك الإسلامي هي دعوة في نفس الوقت لمقاومة الاحتلال وإعادة الإيجابية والحيوية إلى المجتمع.

وكذلك تعد دعوة الشيخ إلى التمسك بسنة الرسول ﷺ بالنسبة لإعفاء اللحية، وارتداء الزي الأبيض والعمائم التي لا زر لها والعذبة المسدلة فوق الظهور شكلاً من أشكال المقاومة – وهذا أمر تعرفه كل المجتمعات المكافحة – فالمرأة الجزائرية كانت تقاوم الاحتلال بالتمسك بالزي الإسلامي.

وليس عجيبًا أيضًا أن يحرص كمال أتاتورك في محاولة قطع صلة تركيا بالعالم الإسلامي وربطها بأوروبا أن يصدر قانونًا بمنع لبس الحجاب على المرأة ومنع لبس الطربوش على الرجل. إن الاستعمار وأذنابه يدركون هنا الآثار النفسية

(١) د. عبد العظيم حامد خطاب - مرجع سابق.

والمعنوية المترتبة على الارتباط بالزي الوطني.

المستشرقون يهتمون بالشيخ الإمام:

من الأمور المعروفة أن حركة الاستشراق ذات صلة مباشرة بالاستعمار وبالتالي فإن اهتمام المستشرقين بحركة الشيخ الإمام يعطي الدلالة الواضحة على ما لحركة الشيخ من خطر مباشر على الاستعمار.. وقد أثبتت دائرة المعارف الإسلامية أن الدكتور (شاخت) «أحد المستشرقين » سعى للقاء الإمام في مقر الجمعية. وكتب عددًا من الدراسات عن الشيخ والحركة[1]

تحقيق التماسك الاجتماعي للأسرة والمجتمع:

كان للدروس والمواعظ والتوجيهات الدينية التي كان الشيخ الإمام يقوم بها أثر كبير في إصلاح الفرد والأسرة، وتنبيه المجتمع إلى أخطار العصيان والفسق والاجتراء على حدود الله، ومحاولة إحياء الضمير الإنساني والإسلامي مما كان له أثر في منع كثير من الجرائم مثل حرق المزروعات في الريف والأخذ بالثأر.

وقد نهج الوعاظ نفس المنهج فأصلحوا بين العائلات المتخاصمة، وهذا كله كان يقلل من آثار الدعاية الاستعمارية التي تستهدف التفريق بين أبناء المجتمع «فرق تسد » ونشر وإشاعة الفسق والفساد حتى لا تظهر شخصيات سوية تقاوم الاستعمار.

مساعدة الشعب الفلسطيني:

برغم أن الهجمة الاستعمارية الصهيونية على فلسطين كانت في بدايتها، ولم يظهر خطرها في وقتها واضحًا. إلا أن الشيخ كان متنبهًا لهذا الخطر – وانطلاقًا من واجبه الإسلامي أدرك ضرورة مساعدة الشعب الفلسطيني.

فقامت الجمعية الشرعية بإرسال كمية من المنسوجات إلى بيت المقدس لتوزيعها على منكوبي فلسطين، فأرسلت الطرود بطريق سكة حديد مصر فلسطين وتلقى مجلس إدارة الجمعية رسالة محررة في ١٧ رجب ١٣٤٩هـ الموافق ٨ كانون الأول «ديسمبر» ١٩٣٠ م موقعًا عليها من رئيس المجلس الشرعي

(١) دائرة المعارف الإسلامية مترجمة عن الألمانية والإنجليزية – المجلد الحادي عشر – ص ٢٦٤.

الإسلامي الأعلى بفلسطين، وهو الشيخ محمد أمين الحسيني يشكر الجمعية على تبرعها وتضامنها مع العالم الإسلامي.

وفي الأربعينيات فتحت الجمعية مجالاً للتبرعات في مساعدة الشعب الفلسطيني. وكان أعضاء الجماعة يحملون الدفاتر في الأماكن العامة. وشاركت الجمعية في المظاهرات الصاخبة التي شهدتها القاهرة عقب الإعلان عن قيام إسرائيل سنة ١٩٤٨ مع غيرها من الجمعيات الإسلامية.

استخدام التقويم الهجري:

حرصت الجمعية الشرعية على النص في لائحتها الأساسية على استخدام التاريخ الهجري بدلاً من الميلادي – ولعل هذا هو أحد أشكال التميز عن الثقافة الاستعمارية، وبالتالي شكل من أشكال المقاومة.

سلاح المقاطعة الاقتصادية – بناء الصناعة الوطنية:

يعد سلاح المقاطعة الاقتصادية أحد أهم الأسلحة التي تستخدمها الشعوب في مقاومة سلطات الاحتلال – ويحرص الاستعمار دائمًا على ترويج منتجاته في البلاد المستعمرة، وهذه أحد أهم أهداف الاستعمار – وبالتالي فإن قيام صناعة وطنية عمل هام من أعمال القضاء على أهداف هذا الاستعمار – وكذلك رفض استخدام منتجاته.

ولقد مارس الشيخ سلاح المقاطعة الاقتصادية بعدة طرق – منها قيامه هو شخصيًا برفض تناول طعام المستعمر، وهذه دعوة – في حد ذاتها – لمقاطعة الأطعمة الاستعمارية. وكذلك فإن الدعوة إلى استخدام زي خاص وسمت خاص للرجل والمرأة متمشيًا مع الإسلام – يجعل أمر استخدام الأزياء الأجنبية وخطوط الموضة وغيرها من مستحضرات التجميل الأجنبية أمرًا مرفوضًا، وهو ما يعود بالخسارة الاقتصادية على بيوت الأزياء الغربية ومصانع الأقمشة والملابس الأجنبية.

ومن ناحية ثانية فإن الجمعية حرصت على إقامة صناعة نسيج وطنية، فقد نص قانون الجمعية الأول على أن يعاون مجلس الإدارة لجنتان – سبق أن تحدثنا

عن أولاهما – « الثانية » لجنة المراقبة وتتكون من خمسة أعضاء، ثم صارت تتكون من سبعة أعضاء وهما رئيسها ومهمتها النظر في أعمال الجمعية والاطلاع على دفترها وأعمال التشغيل لمصنع النسيج الذي أقامته الجمعية لاستثمار أموالها ومحاسبة الموظفين.

إذن فهذه لجنة اقتصادية أساسا. الأمر الذي يجعلنا نقول أن الجمعية اهتمت بالجانب الاقتصادي أيما اهتمام.

يقول د. عبد العظيم حامد خطاب – في كتابه المشار إليه سابقا:

« وقد عنى الشيخ الإمام محمود بهذا المشروع – فتحرى أن تكون الألوان ثابتة بإجراء تجارب على ثبات الألوان واستبعاد الألوان غير الثابتة، وعند تشغيلها. كما اهتم بتجهيز أدق الأقمشة واستخدام أرفع الخيوط.

ولقد ظهر نجاح هذا المشروع وسده لحاجة المجتمع بدون خسائر تصيب الجمعية، إذ قام المشروع من أول الأمر بتصنيعه لدى الغير، ثم بواسطة مندوبين يعرضون تلك المنتجات في محالهم مقابل عمولة نقدية ودون حاجة إلى فتح أماكن استعداد وكلاء في أنحاء البلاد.

وفي سبيل توسيع الأوا[illegible] الجمعية مصنعا خاصا بها للنسيج البلدي [illegible] تشغيل [illegible] مصانع قائمة. وعمل الإمام على تسجيل علامة تجارية تحمل بداخلها اسم الجمعية [illegible] نجوم وسجل في المحكمة المختلطة في مصر، وهي الجهة المسئولة عن [illegible] الاختراع وحقوق المبتكرين.

وصارت تلك العلامة التجارية تطبع على تلك المنتجات.. وأعدت الجمعية في مقرها ١٠ عطفة الشيخ السُبكي « الجوخدار سابقا » بشارع الخيامية معرضا لعرض تلك المنتجات وبيعها، ومع بقاء البيع لدى الوكلاء في أنحاء القاهرة وبلاد الأقاليم المصرية..

اعتبر المعرض بمقر الجمعية مركزًا رئيسيًا للتوزيع والبيع للأفراد، وقد نشرت الجمعية في الصحف والمجلات المحلية عن تلك المنتجات، وتطوعت احدى

الصحف اليومية أن تنشر مجانًا إعلانات عن تلك المنسوجات.

وبلغ من شهرة تلك المنسوجات وجودتها أن اقترحت مصلحة الصناعة والتجارة المصرية على الجمعيات وأصحاب مصانع النسيج المصرية أن يوافوا قنصل مصر بجدة بحارة الشوام بعينات من مصنوعاتها المختلفة مع بيان مقاساتها وأثمانها وعناوين تلك المؤسسات القائمة بهذا النوع من النشاط الصناعي.

وبالفعل أرسلت عينات من منسوجات الجمعية إلى القنصلية المصرية في جدة، لتعرض فيها على المهتمين بشئون التجارة والصناعة بها »[1]

وتعدى حديث تلك المنسوجات حدود البلاد المصرية فأفاد أحد المدرسين بحيفا وملحقاتها بفلسطين أنه قد افتتح محلاً لتوزيع تلك الأقمشة.

وبقيت تلك المنسوجات قائمة حتى سنة ١٣٨٤هـ إذ أبدت وزارة الشئون الاجتماعية اعتراضها على هذا النوع من النشاط على أساس أن ذلك يعرض أموال الجمعية إلى الخسارة، ولا يجوز للجمعيات أن تحتفظ بأرصدتها في مشروعات محتملة الخسارة.

والواضح أن الشيخ الإمام اهتم بإقامة هذه الصناعة، وراعى أن تكون من الجودة والإتقان بمكان، وواضح أنها حازت نجاحًا ولاقت رواجًا، ونحن نشم اتجاه السلطة الأجنبية في الإيعاز إلى وزارة الشئون الاجتماعية لوقف هذا النشاط الهام.

ويرجع ذلك إلى أن قيام صناعة وطنية يشكل خطرًا كبيرًا على الاستعمار ويضربه في أحد أهم أهدافه، فما بالك والأمر مرتبط بصناعة النسيج التي تعتبرها إنجلترا حكرًا عليها، وتعتبر مصر مزرعة للقطن لتلبية حاجات مصانعها.

إذن فصناعة النسيج في مصر تشكل خطرًا مباشرًا على المصالح الإنجليزية، وهكذا كان قرار وزارة الشئون الاجتماعية ضربة موجهة ليس إلى الجمعية الشرعية فحسب، ولكن لحركة النضال الوطني في مصر ككل.

ولعل في حيثيات إيقاف تلك الصناعة التي أوردتها وزارة الشئون الاجتماعية

(١) سجل محاضر جلسات مجلس الإدارة حـ١ ص ١٩٤.

ما يؤكد هذا المعنى – فقد ادَّعت أن هذا لصالح الجمعية منعا لاستثمار أموالها في مشروعات محتملة الخسارة – في حين أنها كانت صناعة تحقق مكسبًا كبيرًا للجمعية.

وبالإضافة إلى ذلك استهدفت الوزارة وفقًا لخطة سياسية مرسومة أن تقلص أي نفوذ اقتصادي للجمعيات الإسلامية، بهدف إخضاعها أولاً وتسهيل مهمة ضربها ثانيًا خاصة وأن ذلك الوقت ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م كان ذروة ضرب الاتجاه الإسلامي في مصر على يد حكومة عبد الناصر.

رفض التعامل مع البنوك الربوية:

يقول: د. عبد العظيم خطاب السُبكي- في مرجعه المشار إليه سابقًا:

« وكان فائض إيراد الفروع يرسل إلى الجمعية الشرعية بالقاهرة ليحفظ لدى أمين الصندوق في خزانة خاصة دون إيداعها في مكاتب البريد خشية اختلاطها بالأموال الربوية وبعيدًا عن الشبهات في هذا المجال »

ويعد هذا السلوك تفكيرًا مبكرًا في إقامة مؤسسات بنكية بديلة عن تلك البنوك الربوية المرتبطة بالنظام الاقتصادي العالمي الظالم والمصمم لخدمة أهداف الاستعمار.

تفكير نقابي مبكر:

يقول د. عبد العظيم حامد خطاب – مرجع سابق: « نشأ التفكير في إنشاء جميعة تضم العاملين بالسنة ليتكاتفوا ويتضامنوا لتأمين حياتهم ضد البطالة والعوز والحاجة، فكان أن وجدت الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة المحمدية، في وقت لم تكن قوانين العمل تعطي العامل أي حق، ولم تكن ثمة نقابات أو هيئات تحفظ على العامل حقه أو تنصفه إذا ما التجأ إليها ».

أليس هذا تفكيرًا مبكرًا في العمل النقابي – والنواة الأولى للعمل النقابي للعمال.

* * *

مقال الأستاذ أحمد حسين مؤسس « مصر الفتاة » في مجلة « الاعتصام » عدد

ذي الحجة سنة ١٣٩٥ هـ، عن الجمعية الشرعية ومؤسسها: « إني أتصور أن حركة «السُبكية» كما كانت تسمى نسبة إلى مؤسسها المغفور له الشيخ محمود خطاب السُبكي هي أحد ردود فعل مصر الإسلامية ضد الاحتلال الإنجليزي – لقد كان الاحتلال الإنجليزي لمصر صدمة مدوخة – فلأول مرة وجد مسلمو مصر أنفسهم محكومين بقوة أجنبية غير إسلامية.

ولقد أخرج هذا الشعب من صفوفه من راح يحاول وضع يده على سبب هذه النكبة، فذهب البعض إلى أن السر فيها يرجع إلى قلة التعليم – فاندفعوا يبشرون بوجوب نشر التعليم وفتح المدارس. وقال آخرون: إنما هو انعدام الوعي السياسي، فراحوا ينشئون الأحزاب ويصدرون الصحف.

وقال ضمير الشعب الممعن في الإيمان أن السر كل السر هو في انحراف المسلمين عن دينهم، وأنهم لو تمسكوا بما كان عليه السلف الصالح، وعضوًا بالنواجذ على قول نبيهم « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسنتي**».

وهكذا كان الشيخ محمود خطاب السُبكي ترجمانًا لمشاعر الشعب وتعبيرًا عن إراداته في النهوض والإصلاح والتحرير عن طريق العودة إلى الإسلام عند منابعه الأولى، ذلك هو تصوري العام لقيام الشيخ محمود خطاب.

إن الذي أتصوره في عمل الشيخ محمود أنه أنشأ ما يمكن أن نصفه بأنه مزرعة روحية لإعادة مجد الإسلام عن طريق اتباع الكتاب والسنة كما طبقها السلف الصالح، وسرعان ما ازدهرت هذه المزرعة وبدأت تؤتي أكلها، فراحت تقدم للمجتمع المصري أروع النماذج والمثل في شتى أنواع الأنشطة.

فعندما قامت ثورة ١٩١٩ هذا الحدث العجيب الذي حطم كبرياء الإنجليز وجبروتهم، مما استرعى الانتباه إلى الدور العظيم الذي قامت به ورش عنابر السكة الحديد – وقد تكشفت الأيام عن أن قائدًا عماليًا من أعظم من عرفت مصر كان هو الشيخ أحمد جاد الله، والذي أعدم فيما بعد لاتهامه في حادث مقتل السير لي ستاك الإنجليزي وعشرات الإنجليز من قبله، ولم يكن الشيخ أحمد

جاد الله إلا عضوًا من أصدق أعضاء « الجمعية الشرعية ».

ما زالت ذاكرتي تحمل الانطباعات المنقوشة في نفسي عن صلاتي للجمعة في المسجد الكبير للجمعية الشرعية، ففي حياة الشيخ الكبير وقبل اشتغالي بالمسائل العامة جذبني لصلاة الجمعة في مسجد الجمعية الشرعية كثرة ما قيل عنها وأشيع من أنها شيء فذ ومثير، وأشهد أن ما رأيت وسمعت وعاينت كان أكبر بكثير وأعظم وأروع من كل ما قيل وأشيع.

إذ لا تكاد تقترب من مسجد السُبكية كما كان يسمى، حتى تشعر أن بُعدَي الزمان والمكان قد سقطا. وأنك أصبحت في أحد أحياء مدينة إسلامية من مدن صدر الإسلام. وأدع الأدباء والفنانين والشعراء أن يرسموا صورة لهذا الجو العبق بالإيمان والبعث لمسلمي الصدر الأول بأيدٍ مصرية.

على أن حقيقة واحدة من حقائق هذا المجتمع الإسلامي السلفي لا بد من ذكرها ليعلم أبناء الجمعية الشرعية أن مؤسس حركتهم في هدوء وصمت. كان قد وضع يده على أقوى سلاح للتحرر والانعتاق من سيطرة الاستعمار بدعوته إلى ارتداء الملابس المصرية بأيد مصرية.

بعد ثورة ٢٣ يوليو:

وكان ما كان بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٢٥ وحلت الأحزاب، وتوقف كل نشاط سياسي وقبعنا في عهد دورنا ولذنا بالصمت، وهنا تحدث حكمة مؤسس الحركة الشرعية عند جعل مهمته قاصرة على إصلاح النفوس وتربيتها وتهذيبها عن طريق اتباع السنة، وخاصة في تأدية الصلاة فقد مكنها هذا الأسلوب من البقاء والاستمرار وسط جو الأعاصير والروابع التي عصفت بكل شيء.

مشاركة أعضاء الجمعية الشرعية في الكفاح ضد الاستعمار

لا شك أن هناك علاقة ثابتة بين التمسك بالإسلام - وبين الإيجابية في الحياة. ولاشك أن التمسك بأخلاق الإسلام تجعل من المرء شخصية قوية وسوية وقادرة على المواجهة والرفض. ولعلنا لا نتجاوز الحقيقة في قليل أو كثير إذا قلنا أن كل حركات المقاومة الحقيقية للاستعمار في مصر خرجت من عباءة

الإسلام.

وكان هناك نهجان لمواجهة المستعمر: أحدهما: مواجهته بالبندقية والانتفاض ومقاطعة بضائعه وأخلاقه وسلوكه، والتمسك بالجذور العقائدية والسلوكية لأمتنا.

والثاني: يتمثل في الاندماج في الحضارة الغربية – سلوكا وفكرًا وحكمًا واستخدام المحافل الدولية والتوازنات الدولية – وأسلوب المفاوضات في محاولة للحصول على الاستقلال.

وبالطبع انحاز إلى المنهج الأول كل المجاهدين الشرفاء والأحزاب الراديكالية والجماعات التي تستلهم الإسلام – مثل الحزب الوطني (حزب مصطفي كامل) – الجمعية الشرعية – الإخوان المسلمين – مصر الفتاة.. إلخ. وانحاز إلى المنهج الثاني الأحزاب العلمانية مثل الوفد – اليسار – أحزاب الأقلية.. إلخ..

وكان من الطبيعي والحالة هذه أن يجد رجال الجمعية الشرعية أنفسهم مشاركين في الكفاح المسلح وغير المسلح ضد الاستعمار الإنجليزي. وسوف نقدم هنا نموذجين لذلك الكفاح وتلك المشاركة.

مشاركة المجاهد إبراهيم موسى في عملية اغتيال السردار

إبراهيم موسى هو أحد أبناء الجمعية الشرعية – وكان من ضمن عمال العنابر وقد ظل حتى ضبط المتهمون في عملية اغتيال السردار، وقد ثبت من التحقيق أنه اشترك في أكثر من محاولة فدائية ضد الوجود الإنجليزي في مصر منها عمليات الاعتداء على المستر كيف وبيجوت وبراون بالجيزة وكذلك بعض المتعاونين مع الاحتلال مثل حسين عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدي بك.

ومن باب الصدف أن نمرته في العنابر هي ٦٨٨ وهي توافق نمرة السيارة التي ركبها المتهمون بعد تنفيذهم الحادثة.

وقد ظهر نشاطه كمهيج سياسي بين عمال العنابر في عام ١٩١٤، وفي ١٩١٩ كان أحد زعماء العمال في الإضراب.

وكان مشهورًا بشجاعته وجرأته، وكان دائمًا يفخر بأنه لا يخشى الرصاص

ولا يهاب أحدًا، مما جعل تأثيره كبيرًا على العمال.

وقد انتخبه عمال العنابر أمينًا لصندوق النقابة فكان يجمع الاشتراكات منهم، كما أنه انتُخب ليكون مندوبًا عنهم.

وقد اشترك في إضراب العمال في سنة ١٩٢١ كزعيم من زعمائه، وبسبب هذا الإضراب أوقف عن العمل مدة ١٥ يومًا وأُنذر بالطرد من الخدمة[١].

وفي أثناء عملية تنفيذ حكم الإعدام بعد صدوره على المجاهد إبراهيم موسى، ظهر المجاهد قويًا، وطلب أن يرى أهله وأولاده، وصرح بأنه عليه خمسة جنيهات لأحد أصدقائه وهو محمد بيومي وثلاثة جنيهات لشركة المخابز، وقال أنه يدين مصلحته ببعض المبالغ وأنه يطالب بإعطائها لأمه.. ثم قال: « أنا قلبي مطمئن بالإسلام» وطلب تسليم جثته لأهله وأن يدفن بقرافة المحمدي، وأوصى أن يكون الوصى على أولاده ابن خالته الشيخ رجب[٢].

وقد وقعت عملية اغتيال السردار السير لي ستاك سردار الجيش المصري وحاكم عموم السودان يوم الأربعاء ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ الساعة ١,٥ ظهرًا، بينما كان السردار عائدًا في سيارته من مكتبه بوزارة الحربية إلى داره بالزمالك.

وقد أطلق الرصاص عليه من خمسة من الشبان كانوا متربصين له في سيارة بشارع الطرقة الغربي « شارع إسماعيل باشا أباظة الآن»، فأصيب السردار إصابات خطيرة في بطنه ويده وقدمه وأصيب ياوره البكباشي كامبلن كما أصيب سائق سيارته وجندي بلوك الخفر من حرس وزارة المعارف الذي أراد أن يتعقب الجناة، وقد توفى السردار متأثرًا بجراحه يوم ٢٠ نوفمبر حوالي منتصف الليل[٣].

وقد اتضح من التحقيقات أن جمعية « الفدائية » وهي جمعية سرية – كانت مهمتها هي اغتيال الإنجليز والمصريين المتعاونين معهم – وكانت الجمعية تقوم

(١) د. محمد متولي – مصر وقضايا الاغتيالات السياسية – كتاب الحرية (٦) – ١٩٨٥.

(٢) الجمهورية – الخميس ٢٨ أغسطس ١٩٧٥ ص ٨ « كيف تم الإعدام في قتلة السردار».

(٣) عبد الرحمن الرافعي – في أعقاب الثورة المصرية – ج ١ ط٢ – مكتبة النهضة المصرية القاهرة – ١٩٥٩ ص ١٨٣.

بطبع المنشورات وتوزيعها في المناسبات الوطنية [1].

وقد صدر حكم بالإعدام على كل من عبد الحميد عنايت – عبد الفتاح عنايت – محمود صالح – إبراهيم موسى – محمود راشد – على إبراهيم محمد – شفيق منصور – راغب حسين وعلى محمود أحمد إسماعيل بالشغل لمدة سنتين- هذا وقد خفف حكم الإعدام على عبد الفتاح عنايت – ونفذ في الباقين.

* * *

إذا. فهذا هو أحد عناصر الجمعية الشرعية. يقوم بتأسيس وعضوية جمعية الفدائيين ليمارس من خلالها الكفاح المسلح ضد الإنجليز – وضد من يتعاون معهم من الخونة المصريين ويوزع المنشورات في المناسبات الوطنية المختلفة.

ليس هذا فحسب بل هو أيضًا نقابي بارز وقيادة عمالية صلبة فقد كان أمينًا لصندوق نقابة عمال العنابر – وكان يحظى بثقة زملائه – وهو أيضًا محرض سياسي ومهيج سياسي كما وصفته المصادر التي أرخت لتلك الفترة.

شارك بهمة ونشاط في الإضرابات العمالية المختلفة ابتداء من سنة ١٩١٤ – ١٩٢١ مرورًا بإضرابات ١٩١٩، وهذه الإضرابات كان بعضها ذا طابع وطني وكفاحي ضد الاستعمار مثل إضرابات ١٩١٤ – ١٩١٩ وكان بعضها ذا طابع نقابي.

أي أن المجاهد إبراهيم موسى كان سياسيًا ونقابيًا في نفس الوقت. فإذا أضفنا إلى ذلك شجاعته وإقدامه وجرأته ومواجهته الإعدام بصلابة وثبات لأدركنا نوعية الشخصيات التي أنجبتها الجمعية الشرعية.

المشاركة في ثورة ١٩١٩:

شارك أعضاء الجمعية الشرعية كغيرهم من المصريين في ثورة ١٩١٩ – ولكن الشيء المميز أن عددًا من قيادات الجمعية – كانوا على رأس عمال العنابر الذين أضربوا في يوم السبت ١٥ مارس ١٩١٩ – مثل أحمد جاد الله –

(١) د. محمود متولي ـ مرجع سابق.

إبراهيم موسى. يقول الرافعي[1] « وفي هذا اليوم أضرب عمال عنابر السكك الحديدية - وكان عددهم يزيد على أربعة آلاف عامل. وهؤلاء العمال يشتغلون في القطارات وبدونهم يتعطل سيرها. وعمد بعضهم إلى إتلاف مفاتيح قضبان السكة الحديدية ثم قطعوا الخط الحديدي بالقرب من إمبابة فتعطلت قطارات الوجه القبلي.»

يقول الشيخ عبد اللطيف مشتهري رئيس الجمعية الشرعية حاليًا: « إن إمامنا الشيخ محمود خطاب مؤسس هذه الجمعية كان يدعو أبناءه وتلاميذه إلى معاضدة الثورة سنة ١٩١٩ ضد الإنجليز - وكان هؤلاء في طليعة الثورة.. وفي طليعتهم المرحوم الشيخ أحمد جاد الله عضو الجمعية وأحد عمال عنابر بولاق - كان زعيم العمال في هذه الثورة وأحد أبطال الثورة وحكم عليه بالإعدام. الشيخ الإمام نفسه استضافه الإنجليز في سجن محافظة القاهرة فترة خلال هذه الثورة بعد أن وجدوه يؤجج نارها[2].

لم يتألم الشيخ للسجن ولا للقيد، فهو يؤمن أنه في سبيل الدين وحماية الوطن: (السجن خلوة والنفي سياحة والقتل شهادة).

وكان شيخنا الإمام يحمل هموم وطنه بوعي وبصيرة - لقد حول شعار مقاطعة البضائع الإنجليزية من مجرد كلام إلى عمل.. إلى « نول » - إلى « مصبغة » إلى ورشة - إلى مصنع- لصنع ما كنا نستورده من الإنجليز بخامات محلية وبأيدٍ مصرية.

أسباب نجاح الشيخ الإمام

تحتاج أية دعوة ناجحة إلى شرطين أساسيين لا يمكن بدونهما أن تقوم لها قائمة - الشرط الأول - شرط ذاتي خاص بصاحب تلك الدعوة وتلاميذه، والشرط الثاني خاص بالظروف الموضوعية التي ظهرت فيها تلك الدعوة.

الشروط الذاتية:

لا بد لكل مصلح أو داعية أن يتسم بعدد من السمات المتميزة والخاصة التي

(١) الرافعي - ثورة ١٩١٩ من ١٩١٤ - ١٩٢١ - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥.

(٢) مجلة الاعتصام - أول حديث صحفي للإمام الجديد لأهل السنة.

تؤهله لأن يكون متبعًا ومسموعًا، لقد حظيَ الشيخ الإمام خطاب السُبكي بعدد لا بأس به من تلك الشروط. فهو أولاً كان مؤمنًا شديد الإيمان بما يدعو الناس إلى اتباعه.

فقد اعتقد الإمام الشيخ اعتقادًا جازمًا بأن العلماء هم ورثة الأنبياء، لأن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما وإنما ورثوا العلم.. كما آمن الإمام الشيخ بأن الساكت عن الحق شيطان أخرس. وآمن الشيخ الإمام بهدفه الذي يسعى إليه وهو إيقاظ همة المسلمين وتنظيم حركتهم.

وشفع كل هذا الإيمان بالعمل – أي أنه كان صاحب سلوك وعمل يتسق مع هذا الإيمان، ويؤكده بحيث لا يرى الناس إمامًا يدعو إلى شيء ويخالفه في سلوكه وإلا أحسوا بالتناقض في شخصيته وانفصامها.

وثانيًا: كان الشيخ الإمام راسخًا في العلم مطلعًا على أصول الدين والفقه والحديث والمعرفة المختلفة في كل نواحي العلم وأبوابه. مما جعله قادرًا على تأليف الكتب التي أحيا بها السنة وكشف بها عن البدع والعادات التي كانت تسود المجتمع.

ولا شك أن قوة الحجة وغزارة العلم ومكانة صاحب الدعوة العلمية يعد سببًا هامًا من أسباب ثقة الناس فيما يقول واطمئنانهم إلى صحة فتواه وقدرته على دحض دعاوي خصومه.

وثالثًا: كان الشيخ الإمام يتمتع بشخصية قوية مؤثرة. كان لها أثر كبير في استماع الناس إليه والتفافهم حوله. كما كان الشيخ يمتلك فصاحة اللسان وبلاغة الكلمة وقوة الحجة مما جعل كلامه يصل إلى القلوب والعقول بسهولة.

ورابعًا: كان الشيخ مثالاً للبذل والتضحية بالمال فقد بذل الشيخ الإمام من ماله الخاص ما تمكن به من طبع الكتب والمؤلفات المعينة على نشر الدعوة ووصولها إلى الناس في كل مكان.

وخامسًا: تمتع الشيخ بقوة الصبر على الأذى ومتابعة العمل رغم العقبات – فلم يهن عزمه ولم تفتر همته عن بلوغ قصده وغايته متوسلاً بالأناة والتحمل

والصبر مقتديًا في ذلك بالرسول ﷺ.

الشروط الموضوعية:

وإذا كان الشيخ الإمام قد امتلك عددًا من الشروط الذاتية والخصائص الشخصية العالية والسامية مما جعله كفؤا للنهوض بأعباء الدعوة إلى ما آمن به، فإن الشروط الموضوعية أيضًا ساعدت على ذلك ووضعت الخلفية الصالحة لنجاح دعوة الشيخ الإمام.

تتمثل تلك الشروط الموضوعية في غياب عالم دين تقي مجاهد في تلك الفترة التي ظهر فيها الشيخ الإمام.. وكانت مصر وشعبها المسلم في شوق ولهفة إلى أحد علماء الدين لتلتف حوله، لأن الشعب المسلم يدرك دائمًا أن العلماء هم قيادته الطبيعية، وأن قيادة العلماء المجاهدين للأمة شرط من شروط انتصارها.

لقد واجه الشعب المسلم في مصر الغزو الفرنسي في ١٧٩٨ – ١٨٠١ تحت قيادة العلماء، واستطاع أن يفجر مقاومة شاملة في كل جزء من أجزاء مصر تكللت بالنجاح واندحار الحملة الفرنسية ورحيلها. وتكررت محاولة الاستعمار وكانت هذه المرة من جانب الاستعمار الإنجليزي الذي جرد حملة فريزر على حماد ورشيد سنة ١٨٠٧ إلا أن توحد الأمة وجهادها تحت قيادة العلماء كان سببًا في فشل وهزيمة تلك الحملة كسابقتها.

وأدرك الاستعمار أنه لن يفلح في احتلال مصر وإيقاعها تحت الهيمنة الاستعمارية والقضاء على حيوية ومقاومة أهلها إلا بفصل العلاقة التاريخية بين الأمة والعلماء.

وهكذا بدأ المخطط الاستعماري في ضرب تلك العلاقة وإضعاف العلماء وتحويل الأزهر من قيادة طبيعية للأمة إلى مجرد مؤسسة ممتلئة بالنزاعات الشخصية – وصحيح أن الاستعمار لم ينجح في ذلك تمامًا إلا أن ما فعله في ذلك الوقت كان كافيًا لتخفيف قوة علاقة الأمة بالعلماء وتشذيب حيوية العلماء.

فقد جاء محمد على إلى حكم مصر بواسطة العلماء الذين قادوا الأمة، ولكنه

كان يفهم سر قوة الشعب في ارتباطه بعلمائه فحاول أن يفصمها وحاك المؤامرات، ونجح في إزاحة العلماء وزعماء الأمة عن طريقه.

وإذا كان العلماء الشرفاء قد حاولوا دائمًا التصدي للاستعمار والاستبداد والمحافظة باستمرار على الصلة التاريخية بين الأمة والعلماء فإن السيد جمال الدين الأفغاني يعد عالمًا مجاهدًا فذا في هذا الإطار. ولقد حاول جمال الدين أن يوقظ روح الأمة وينفخ في عوامل الوحدة والجهاد فيها، إلا أن محاولاته لم تجد الأرضية الصالحة بسبب عوامل كانت أقوى في وقتها.

وعلى النهج ذاته سار عبد الله النديم، ثم زعماء الحزب الوطني: مصطفى كامل – محمد فريد – عبد العزيز جاويش. وهكذا كان الشيخ الإمام خطاب السُبكي أحد هؤلاء العلماء المجاهدين وحلقة في تلك السلسلة ذاتها التي امتدت بعده على يد الشيخ الإمام الشهيد حسن البنا.

إذن فقد كانت الفترة التي عاشها الشيخ هي فترة متوسطة بين الأفغاني وحسن البنا – وكانت حركات الجهاد الإسلامي ضد الاستعمار المتمثلة في الحزب الوطني « مصطفى كامل – محمد فريد » على وشك أن تخبو – وكانت أوضاع الأمة في حالة يرثى لها.

فقد آلت الزعامة في الأمة إلى زعماء علمانيين مثل « سعد زغلول» الذين يريدون مواجهة الاستعمار بنفس أساليبه بل أن يصبحوا جزءًا من حضارة الاستعمار «الحضارة الغربية» لقد راحوا يزيحون بوعي أو بدون وعي عوامل التميز لدى الشعب ويسلمونه فريسة سهلة أمام أنماط الثقافة والحضارة والقيم الغربية – أي أن يفقدوه كل قواه الذاتية، ثم يحاولون بعد ذلك محاربة الاستعمار - وبديهي أن الاستعمار كان يشجع ذلك ويدعمه.

وهكذا كان لابد هنا للشعب أن يلتف حوله باحثا عن العلماء المجاهدين، باحثًا عن علماء لم يذوبوا في قيم الحضارة الغربية ولم يتشربوا بروحها، بل مازلوا متمسكين بقيم الحضارة الإسلامية وقادرين على تمثل تلك الحضارة وبعث قيمها وأنماط سلوكها وآدابها ومناهجها في الحياة – وهكذا كان اللقاء

بين الشيخ الإمام وبين الأمة.

إحياء السنة في صلاة العيدين خارج المساجد:

نجح الشيخ الإمام في أن يحقق إحياء السنة في صلاة العيدين خارج المسجد، فقد خرج الناس بدعوة من الشيخ الإمام إلى الصحراء بالعباسية لصلاة العيد في جماعة – وقد استهدف الشيخ من وراء ذلك إحياء السنة الشريفة، ولعل الرسول الكريم ﷺ قد أراد من هذه السنة بوحي من ربه إظهار وحدة المسلمين ومهابتهم حيث يصلون جميعًا في مكان واحد.

وفي حديث أم عطية رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرج ذوات الخدور يوم العيد، قيل: فالحيض...؟. قال: «**ليشهدن الخير ودعوة المسلمين**». فقالت امرأة: يا رسول الله إن لم يكن لإحداهن ثوب كيف تصنع...؟ قال: «**تلبسها صاحبتها طائفة من ثوبها**». قيل: يا رسول الله فهل تشهد الحيض...؟ فقال: «**نعم يخرجن ليشهدن مجامع الخير ودعوة المسلمين فيكبرن بتكبيرهم ويدعين بدعائهم ولا يصلين**».

ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ قد أمر حتى المرأة الحائض بالخروج لحضور صلاة العيد في الخلاء، وذلك حتى تكون صلاة العيد فرصة لتجمع كل المسلمين الرجال والنساء والأطفال، أي أن الحضور في حد ذاته واجب حتى لو لم تصلي المرأة الحائض، فيكفي أن تحضر لتشهد مجامع الخير ودعوة المسلمين وتكبر بتكبيرهم وتدعو بدعائهم.

وكل هذا يؤكد حرص الرسول ﷺ على جعل العيد مظهرًا من مظاهر وحدة المسلمين.

ولا شك أن قيام كل منطقة من مناطق المدينة بالتجمع والذهاب إلى مكان صلاة العيد وهي تردد التكبير « الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله – والله أكبر الله أكبر ولله الحمد..»، ثم يلتئم الجمع من كل مكان ليستمع إلى خطبة العيد ويؤدي صلاة العيد أو يشهدها فقط كما في حالة النساء الحيض، يشعر المسلمين بالعزة والقوة وتخيف أعداءهم ويوضح مدى وحدتهم.

ولا شك أن للشيخ الإمام خطاب السُبكي فضلاً كبيرًا في إعادة إحياء هذه السنة النبوية الشريفة والتي اتبعها من بعده رجال الحركة الإسلامية – فأصبحنا نشاهد الآن إصرارًا من الحركة الإسلامية على أداء هذه السنة في الخلاء إظهارًا للوحدة وتحفيزًا لهمم المسلمين.

ولا شك أن المحاولات المستمرة من قبل السلطات والحكومات المستبدة في إجهاض تلك السنة ومنعها بالعنف والشرطة وغيرها لدليل واضح على مدى أهمية تلك السنة المطهرة.

رجولة وجهاد مبكر:

بحكم الفطرة الإسلامية السليمة التي يعرفها كل مسلم – والتي لا ترضى بالسكوت على الظلم أو الجوار أو الاستكبار قام الشيخ وهو مازال فتى بالجهاد والعراك ضد اللصوص وقطاع الطرق – مستخدمًا بندقيته، فوضع بذلك حدًا للنهب المستمر الذي كانت تتعرض له حديقة والده الواقعة أمام الدوار والبالغة ستة أفدنة.

ولعل هذه الرجولة تثبت أن الكفاح والجهاد ضد كل أشكال الظلم صغيرًا أو كبيرًا هو فريضة إسلامية، ولعل كفاح الشيخ الإمام ضد الاستعمار بعد ذلك وغرس هذا المبدأ في نفوس أتباعه يؤكد هذا الأمر.

الآثار العلمية للشيخ الإمام

للشيخ الإمام عدد من المؤلفات الدينية كالتالي:

١- المنهل العذب المورود – شرح سنن الإمام أبي داود، تم منه عشرة أجزاء وشرح الإمام الشيخ أمين أربعة أجزاء أخرى تكملة للمنهل فصار أربعة عشر جزءًا.

٢- مفتاح المنهل العذب المورود.

٣- الدين الخالص. أو إرشاد الخلق إلى دين الحق – ثمانية أجزاء، أما التاسع فمن تأليف الإمام الشيخ أمين خطاب خليفته من بعده.

٤- إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات.

٥- هداية الأمة المحمدية في الحكم المحمودية السنية « خطب منبرية»

٦- الرسالة البديعة الرفيعة في الرد على من طغى فخالف الشريعة.

٧- المقالة الشرعية للرئاسة الإسلامية.

٨- تحفة الأبصار والبصائر في بيان كيفية السير مع الجنازة إلى المقابر.

٩- غاية التبيان – لما به ثبوت الصيام والإفطار في رمضان.

ولا شك أن اهتمام الشيخ الإمام بالتأليف والتصنيف يرجع إلى إدراكه أهمية الاشتغال بالعلم – وأن ذلك أولى من الاستغراق في العبادة مع قلة المحصول فجمع إلى العبادة والاجتهاد فيها التعليم والتوجيه – وكان الإمام الشيخ يدرك أن الاتجاه إلى العلم والتعليم أسمى ما يشغل المسلم به نفسه.

ومن شدة إيمان الشيخ الإمام بالعلم والتعليم وجه أبناءه نحو التعليم فأدخلهم جميعًا الأزهر، وطلب منهم سلوك سبيل الإرشاد والتعليم وكلفهم ببعض مهام الدعوة، وعندما علم أن ابنه الأكبر الشيخ محمد قد ترك التدريس واشتغل بالقضاء والمحاماة حزن وأسف ولام ابنه لومًا شديدًا.

ورغبة في الدعوة إلى الارتباط بالعلم قرر في الوقف الخيرى الذي أوقف به بيته في الخيامية إسقاط ربع الأجرة لمن يسكن فيه من أولاده وأولاد أخيه الحاج محمد محمد خطاب وكان مشتغلاً بالعلم تعليمًا وتعلمًا ثم أناط بهم إدارة وقفه ونظارته والإشراف على إعادة طبع كتبه.

وطلب منهم الأخذ بأسباب العلم، بل وطلب من الذرية المشار إليها في نظير هذا التخفيض في الأجرة إلقاء درس ديني في المسجد الكبير الذي بناه بالخيامية حتى لا تشغلهم الدنيا فيتركوا العلم الذي به شرفهم وليظلوا على طريقة التي رسمها باعتبار التعليم والاشتغال به أسمى الأهداف.

تجربة الجمعية الشرعية

لا شك أن نجاح الجمعية الشرعية في الصمود والاستمرار رغم كل ما مر بمصر من هزات سياسية واجتماعية عصفت بكثير من المؤسسات وخاصة الدينية منها، هو في حد ذاته دليل واضح على نضج قيادات وعناصر الجمعية التي استطاعت أن تصمد بمؤسسات الجمعية مستقلة، وأن تحافظ على وجودها ورسالتها.

ويمكننا أن نفهم هذا النجاح وهذا الصمود والانتشار إذا أدركنا عددًا من الحقائق التالية:

أن المؤسسات الإسلامية في مصر قد تعرضت لمرات عديدة من المصادرة والتأميم والضم إلى الأوقاف أو الإغلاق وعلى سبيل المثال حدث ذلك في سنة ١٩٥٤، ١٩٦٥، ١٩٨١.

أن هناك بمصر الآن أكثر من ٢٠٠٠ مسجد من مساجد الجمعية الشرعية، ولا شك أن هذا العدد من المساجد يوضح إلى أي مدى حققت الجمعية الشرعية انتشارها ونموها، برغم الأزمات ويوضح الدور الكبير الذي تلعبه الجمعية بالتالي في تشكيل العقل الإسلامي في مصر وأثرها على مجمل الحركة الإسلامية.

وأن تلك المساجد ملحق بها عدد من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية

تحقق آثارًا طيبة على المستوى الاجتماعي، فهناك على سبيل المثال لا الحصر في منطقة المطرية بالقاهرة حوالي ٤٥ مؤسسة اجتماعية. ويتبع فرع الهداية في منطقة الشرابية ٢٦ مؤسسة تغطي نواحي اقتصادية وتعليمية وتدريب مهني.

تقييم تجربة الجمعية الشرعية:

إن التقييم الموضوعي لتجربة ما يجب أن يضعها في إطارها التاريخي وظروفها التي نشأت فيها والأهداف التي وضعتها تلك التجربة نصب أعينها.

إنه لا يستطيع أحد أن يدعي أن تجربة ما مثل تجربة الجمعية الشرعية كانت قادرة وحدها على اجتثاث التخلف أو النهوض بالأمة.

وبالتالي يجب أن نضع في اعتبارنا أن الجمعية لم تدع لنفسها يومًا أنها النموذج الوحيد أو النموذج الذي يقول بخلو الساحة من نماذج أخرى – بل على العكس من ذلك تفاعلت الجمعية مع غيرها من النماذج الإسلامية الموجودة في الساحة تفاعلاً إيجابيًا وخلاقًا.

إن دراسة أهداف الجمعية الشرعية وما حققته على أرض الواقع يسهم إسهامًا فعالاً في الحكم للجمعية بالنجاح بل والتفوق.

إن عدد أتباع الجمعية يصل إلى الملايين الآن في كل أنحاء مصر.

استطاعت الجمعية أن تقضي على كثير من البدع والخرافات، فعلى سبيل المثال لم يعد هناك من يؤمن بالاستغاثة بالأموات، وهذا في حد ذاته دعوة إلى إعمال العقل والتفاعل مع الحياة بإيجابية، وبالتالي فهو قضاء لا شك فيه على السلبية والتواكل اللذين يؤثران بدورهما على مستوى تقدم الأمة ونهوضها.

التخلص من الجمود، احتذاء بسنة الرسول ﷺ والمبادئ الإسلامية الأساسية – وكانت الآيات التي تنعي هذا الجمود هو سلاح أعضاء ووعاظ الجمعية الفعال إحياء قيمة العمل وبذل الجهد والمشي في مناكب الأرض والأكل من رزق الله، ولعل أبلغ دليل على ذلك أنه ليس من المنتمين إليها عالة على غيره في رزقه أو متسول.

تجديد العقلانية التي كانت للمسلمين في الصدر الأول من الإسلام – حيث

حاربت الجمعية الاتكالية الخرقاء ـ والغيبية العمياء – والجبرية المدمرة.

كما قضت الجمعية على الانفصام بين الدنيا والآخرة – كما أعادت الجمعية الفهم الصحيح للقضاء والقدر، وقضت على أسباب التواكل والإهمال – وتصدت الجمعية للشعوذة والدجل بين المسلمين- فأتباع الجمعية مثلاً لا يقصدون الدجالين ولا يعتقدون في الخرافات وتراهم يعتمدون على المنهج العلمي.

إظهار الإسلام في الصورة المشرقة من التزام العمل الجاد، وتخليص واجهته من المزاولات التهريجية وغير الجادة مثل ما يحدث في الموالد مثلاً.

مشروعات الجمعية الشرعية في العشر سنوات الاخيرة:

واستمرارًا على منهج الشيخ الإمام محمود خطاب السُبكي في العمل الاجتماعي وتقديم الخدمات للجماهير المسلمة، فإننا نجد الآن على سبيل المثال لا الحصر مستشفى الفتح، ومدارس الفتح بالمعادي، والمشروعات الدراسية والتربوية والعلاجية الرائدة بفروع المطرية والمحلة الكبرى والمنيا وأبو قرقاص والإسكندرية وغيرها.

وهي مشروعات تضارع أحدث وأرقى المشروعات العلاجية والتربوية والدراسية في مصر والعالم العربي.

وفي العشر سنوات الأخيرة قفزت تلك المشروعات قفزة كبيرة وتميزت بعدد من المميزات الهامة على صعيد العمل الاجتماعي الإسلامي.

وتتميز مشروعات الجمعية في هذه المرحلة بأنها تراعي ربط الفروع بالفرع الرئيسي وتحقيق وحدة العمل ومحاولة ربط الفرد المسلم في بيته ومدرسته وعمله بالمسجد، وتحقيق العطاء المطلق مع استبعاد أي مجال للربح المادي. وتحديد الأهداف بطريقة واضحة ومحددة والتخطيط والتنظيم والتنسيق وتحقيق التمويل الواعي والمدروس.

وفي هذا الصدد فقد تحقق عدد من المشروعات الهامة مثل مشروع رعاية الطفل اليتيم، ومشروع رعاية الفتيات المسلمات، ومشروع رعاية المعوق المسلم.

ويهدف مشروع رعاية الطفل اليتيم إلى رعاية الطفل المسلم اليتيم منذ ولادته وحتى يشتد عوده ماديًا ومعنويًا واستغلال هذا الارتباط بين الطفل اليتيم والمجتمع المسلم في غرس مبادئ الدين الصحيح والعقيدة السليمة في عقله وقلبه، حتى ينشأ قوى العقيدة سليم البنيان.

كما يهدف المشروع إلى تصحيح العلاقة بين الطفل اليتيم والمسلمين من حوله، فبدلاً من ارتباط الطفل بفرد أو أكثر من فاعلي الخير الذين يتولون رعايته تصبح علاقته بالمجتمع المسلم كمسئول مباشر عنه.

ويقدم المشروع خدمات طبية وعلاجية وخدمات نسائية وكفالة مالية للطفل اليتيم.

أما مشروع التربية الإسلامية فيهتم برعاية الطفل المسلم عامة، سواء كان يتيمًا أو غير يتيم وذلك في النواحي الدينية والاجتماعية والدراسية والرياضية والترفيهية، وتنشئته على أسس من التربية الإسلامية من خلال منهاج موضوع بواسطة لجنة من كبار العلماء في الجمعية الشرعية الرئيسية، وذلك تبعًا للمراحل السنية المختلفة.

ويتم ذلك باحتضان الطفل المسلم من سن السادسة وحتى الخامسة عشرة من عمره في مساجد الجمعية الشرعية المنتشرة في كافة الفروع، على أن يتولى الإشراف على كل مجموعة من الأطفال أو الأولاد المتقاربين سنًا مشرف متطوع لهذا العمل هو مشرف المسجد، يقوم بتدريس منهاج الطفل المسلم الخاص بالجمعية الشرعية، بالإضافة إلى مساعدتهم في تحصيل دروسهم المدرسية، ثم القيام معهم ببعض الرحلات الترفيهية والدينية.

وإذا كانت ظروف المسجد تسمح بأي نشاط رياضي فإنه يشرف عليه ويجوز أن يكون في المسجد أكثر من مشرف تبعًا لعدد الأولاد ومراحلهم السنية المختلفة، بحيث يكون هناك تجانس وتوافق بين أفراد كل مجموعة مما يسهل مهمة التدريس والتربية.

ولضمان الجدية والاستمرار، فإن مشرف المسجد يتقاضى مكافأة شهرية

رمزية من الفرع أو المسجد، كما يتلقى الأطفال الملتزمون بالحضور بعض الهدايا تشجيعًا لهم على الالتزام والارتباط بالمسجد.

كما يهدف المشروع أن يعود للمسجد دوره الرائد في المجتمع المسلم والذي كان له في صدر الإسلام حيث كان مركزًا للإشعاع الديني والعلمي والاجتماعي والاقتصادي.

أما مشروع رعاية الفتيات المسلمات فإنه يهدف إلى تعميق العلاقة بين الأخت المسلمة والمسجد، وتكوين نوع من الانتماء للجماعة المسلمة من خلال لقائها المستمر والمتكرر بأخواتها والإخوة العلماء والمحاضرين بالمشروع في المسجد.

وإعداد الأخت المسلمة إعدادا دينيًا وتربويًا وفكريًا وثقافيًا إعدادًا سليمًا، لكي تؤدي دورها في المجتمع المسلم، فهي نصف المجتمع من حيث القوة البشرية، ولها دورها المتميز في بناء المجتمع المسلم.

وثانيًا هي الأم حاليًا ومستقبلاً وعلى عاتقها تقع تربية الطفل المسلم، وبالتالي فإنه يجب تلقينها مبادئ تربية ورعاية الطفل المسلم والتنسيق مع المسجد في هذا الإطار، وكذلك تشجيع الأخوات المسلمات على الالتزام بالحجاب كمدخل طبيعي لطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ.

* * *

وما لا شك فيه أن تلك المشروعات الثلاث تعد قفزة نوعية هامة في مجال عمل الجمعية الشرعية. وهي حائط صد هام وكبير في مواجهة الاختراق الاستعماري والصهيوني العلماني لبلادنا، لأن الغزو الحضاري والثقافي والاجتماعي والسياسي لبلادنا يهتم اهتمامًا خاصًا بقطاعي الطفل والمرأة المسلمة – على اعتبار أن هذين القطاعين قابلان أكثر من غيرهما للاستجابة السريعة من ناحية وللتأثير على المستقبل من ناحية أخرى.

وليس غريبًا أن نجد المؤسسات المرتبطة بالاستعمار وإرساليات التبشير تهتم دائمًا اهتمامًا خاصًا بملاجئ الأيتام، ومدارس الأطفال، وقطاع المرأة، بل إن أكبر الاهتمام والتمويل الاستعماري والتبشيري مركز على هذين القطاعين.

الإسلام دين ودولة / قضاء وسياسة / مصحف وسلاح / معاش وعاد

بقلم/ عبد اللطيف مشتهري
إمام أهل السنة

قضت حكمة العليم الخبير أن يجعل الإسلام خاتم الأديان على يد خاتم المرسلين ولآخر أمة في حياة هذه الدنيا، إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، لذلك زوده تعالى بكل مقومات الحياة نصحًا وتخطيطًا، وشريعة كاملة، أوضحت للناس سبيل الهدى والحق في عقيدتهم وعباداتهم ومعاملاتهم.

كما سنت للمسلم أخلاق الكمال، وسلوك البر، وكيف يتعامل المسلم مع نفسه، ومع أهله، ومع وطنه ومع مواطنيه، وعلمه حق الحاكم وواجباته، وكيف يرتبط مع غيره محليًا وعالميًا.

وإذا فهم بعض الأجانب المغرضين، أو ادعى المستشرقون المفترون، أو بعض من لم يدرس حقيقة الإسلام من المنتسبين إليه، إذا فهم هؤلاء أو ادعوا أن الإسلام سلوك خاص بين العبد وربه، لا صلة به بالحياة العامة، ولا بدنيا الناس وسياستهم، ولا بقضائهم وأمنهم، فهم إما جهال وإما ضلال.

وإلا فإن من درس شريعة الإسلام، حتى في مصادرها الأولية، التي يدرسها طلاب المرحلة الأولى في المعاهد الدينية، وجدها بعد أن تسرد أحكام العبادات من طهارة وصلاة وحج وزكاة، تذكر أحكام المعاملات، من بيع وشراء، وشركات ووكالة، ورهن وإجارة، وزواج وطلاق، وعدة وميراث، ونفقة وحضانة.

وتذكر الحدود الزاجرة عن الإضرار بالناس كحد الزنا والقتل والحرابة والقذف والسرقة والخمر والردة، كما تذكر أحكام القضاء والشهادات والبينة وشروط الحاكم، وكيف يتولى أمور الناس، وكيف يتحقق حكم الشعب

بالشعب ومن أجل الشعب، حتى أن الله تعالى خصص للشورى سورة باسمها وهي أعلى درجات الديمقراطية في الحكم.

وجعل أطول آيات القرآن آية توثيق الدين والبيوع والسلم، وعقد للمعاهدات أبوابًا طويلة في الفقه، وأوجب الوفاء بالعقود والعهود والوعود، وكيف يصنع المسلمون إذا تيقنوا الغدر من عدوهم المعاهد لهم وكيف ينبذون إليه عهده على سواء، وكيف إذا اقتضت الضرورة تعلن الحرب، وتعلن التعبئة العامة، وكيف تنظم صفوف الجيش وتطهر من الدخيل، وكيف يثبت المسلم عند اللقاء ويحرك عليه الفرار عند الزحف حتى النصر أو الشهادة، وكيف التصرف في الغنائم والفيء والأسرى.

ثم مع هذا كله نظام الصيد والذبح ما يحل من ذلك، وما يحرم، وأبواب الطب والتداوي، وما نصح به الإسلام في هذا، وتحريم الغش والرشوة والربا والظلم والتدليس والميسر، و الوثنية وضلالات العقول.

وتذكر كذلك الأحكام الودائع والعارية، وإحياء موات الأرض، وأبواب الغصب والضمانات، والشفعة واللقطة، والهبة والهدية، والوقف والوصايا، وعتق الأرقاء، وأحكام التفليس، والمصالحة وحق الجار، والحجر على السفيه، والمضاربات، والمزارعة والمساقاة، وأحكام التجارة والصناعة والزراعة، وأحكام العمل والعمال، والهجرة وأقسامها والصلح والأمان والمهادنة، ومعاملة المخالف في العقيدة، وكيف أباح للمسلم مصاهرة أهل الكتاب وطعامهم، وأبواب التدريب على الجهاد كالسبق والرمى وما يحرم من الحيوانات والطيور وما يحل، وأحكام الرضاع واللعان والظهار والخلع والرجعة والإيلاء، وأبواب القصاص والقسامة والديات.

وماذا بقى بعد هذا من شؤون العباد، لم يستوعبها الدين الإسلامي، حتى يتهم أنه قاصر عن قيادة البشرية.....؟

إذا كانت هناك ملل أخرى قصرت عن استيعاب حياة الناس، وقصرت نفسها على بعض مواعظ أو ترنيمات بعيدة عن دنيا الناس، فما ذنب الإسلام

في هذا، وهو الدين الكامل الشامل الكافل، وصدق الله العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩]. وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يوسف:١١١].

اللهم إنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولاً، على ذلك نحيا، وعلى ذلك نموت، وفي سبيل ذلك نجاهد، وعليها نلقى الله بعونه مؤمنين صادقين، والحمد لله رب العالمين..